بسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

كلمات المسيح على الصليب ج1

* من إنجيل معلمنا لوقا

"ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين، واحدًا عن يمينه والآخر عن يساره. فقال يسوع يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون. وإذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها. وكان الشعب واقفين ينظرون، والرؤساء أيضًا معهم يسخرون به قائلين خلص آخرين، فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله والجند أيضًا استهزأوا به وهم يأتون ويقدمون له خلًا، قائلين إن كنت أنت ملك اليهود فخلص نفسك وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية هذا هو ملك اليهود وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلًا إن كنت أنت المسيح، فخلص نفسك وإيانا فأجاب الآخر وانتهره قائلًا أولا أنت تخاف الله، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه؟ أما نحن فبعدل، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محله ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس" (لو 23 : 33 – 43)

في كل سنة يسمح لنا الرب أن نلتف حول صليبه في أسبوع الآلام، وهذا يستحق منا الشكر لأنه ليس كثيرون كانوا مستحقين أن يكونوا موجودين عند صليب المسيح.

وفي الحقيقة على قدر ما نفرح بأسبوع الآلام، على قدر ما كثيرًا ما تجزع نفس الإنسان وتضطرب لأنه إن كان أسبوع الآلام هو أسبوع البصخة (أسبوع العبور)، فالمفروض فينا أن نعبر من حال إلى حال من سنة إلى أخرى.

فالمفروض أن أسبوع الآلام عندما يتكرر في حياتنا، يكون مراحل لنمو وتغيير الإنسان.

ولذلك فإن ما نطلبه من المسيح بنعمته هو ألا تمر علينا أيام هذا الأسبوع دون أن يكون هناك تغيير حقيقي في نفس كل واحد منا.

سنتأمل في أسبوع الآلام عن كلمات السيد المسيح السبع التي قالها على الصليب.

-أول ملحوظة نلاحظها أن السيد المسيح، في جميع المحاكمات والآلام التي احتملها، كان صامتًا. كان نادرًا ما يتكلم، وعندما كان يتكلم كان يتكلم دفاعًا عن الحق، أما فيما عدا ذلك فكان صامتًا.

لكن عندما عُلِّق على الصليب وجدناه قد تكلم بسبع كلمات.

فإن كان المسيح قد صمت، فقد صمت من أجلنا، وإن كان قد تكلم، فقد تكلم لأجل منفعتنا.

لقد صمت السيد المسيح في المحاكمات لأنه كان يستطيع أن يدافع عن نفسه، ولو كان قد دافع عن نفسه لهلكنا نحن. لذلك قصد أن يصمت لكي يأخذ حكم الموت عوضًا عنا.

- أيضًا عندما تكلم السيد المسيح من فوق الصليب بهذه الكلمات السبع الغالية جدًا التي نطق بها، كانت كلمات نافعة للغاية لحياتنا.

لقد تكلم السيد المسيح كثيرًا أثناء حياته على الأرض، حتى إن الجموع شهدت عنه قائلة" لم يتكلم قط إنسان مثل هذا الإنسان" أما كلماته التي قالها على الصليب فهي من أروع ما نطق به أثناء تجسده.

وطبعًا لا نستطيع أن نقول إن في كلام ربنا كلمة أهم من أخرى، لكن في الحقيقة فإن كلمات الصليب السبع كشفت عظمة وسمو شخص السيد المسيح، كما كشفت عظمة وسمو عمله الخلاصي ففي هذه الكلمات السبع تلخيص لكل الإيمان المسيحي

الكلمات الأخيرة في حياة أي إنسان تكون لها أهمية خاصة، لأنها تكشف ما بداخل نفس ذلك الإنسان. ولذلك قصد الكتاب المقدس أن يسجل لنا الكلمات الأخيرة في حياة كثير من رجال الله.

- فآخر الكلمات التي نطق بها أبونا يعقوب ذكرها الكتاب المقدس في سفر التكوين (48)

- وآخر الكلمات التي نطق بها موسى النبي ذُكرت في سفر التثنية

- وكذلك آخر الكلمات التي قالها يشوع، وآخر الكلمات التي قالها داود.

أما كلمات السيد المسيح على الصليب، فهي آخر الكلمات التي نطق بها وهو بالجسد على الأرض كلمات عميقة جدًا، كشفت سمو شخص السيد المسيح، وكشفت أيضًا قيمة العمل الذي أتمه المسيح بتجسده وبصلبه.

من المعروف أن الإنسان عندما يعصر شيئًا يخرج ما بداخله؛ فإذا عصرت ليمونة يخرج منها عصير الليمون.

والسيد المسيح كان يُعتصر بالألم على الصليب، لذلك فإن الكلمات التي خرجت منه في وقت آلامه كشفت ما كان داخل نفسه.

فالإنسان قد يتكلم بكلام معين في الأوقات العادية، لكن وقت الألم والتعب والضيق يخرج منه نوع آخر من الكلام، وفي الحقيقة يكون هذا هو ما بداخله.

أما السيد المسيح، فإن كلماته على الصليب كشفت ما كان في داخله.

فهل كان السيد المسيح متذمرًا؟ وهل كان متضجرًا؟ أم كان يشعر بفرح، بل وبنصرة؟

هذا ما ستكشفه لنا الكلمات السبع التي نطق بها السيد المسيح على الصليب.

ونحن نعلم أنه عندما عُلِّق المسيح على الصليب حدثت ظلمة على الأرض من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة.

فأول ثلاث كلمات قالها السيد المسيح كانت في النور، قبل حدوث الظلمة.

ثم عندما حدثت الظلمة على الأرض قال كلمة واحدة.

وبعد أن انقشعت الظلمة قال الكلمات الثلاث الأخيرة.

والكلمات السبع لم ترد مجتمعة في إنجيل واحد من الأناجيل الأربعة منفردة، بل جاءت متفرقة في الأناجيل الأربعة. وإذا أردنا أن نرتبها بحسب تسلسلها، نجد الآتي:

1. أول كلمة قالها السيد المسيح على الصليب خاطب الله الآب، إذ قال "يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" فكانت أول كلمة هي كلمة غفران.

2. أما الكلمة الثانية فقالها السيد المسيح للص اليمين، إذ قال له "الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس" فكانت كلمة رجاء.

3. وأما الكلمة الثالثة فقالها لأمه القديسة العذراء مريم، إذ قال لها: "يا امرأة، هوذا ابنك"

وقال ليوحنا: "هوذا أمك" فكانت كلمة عناية ورعاية.

وهذه هي الكلمات الثلاث الأولى التي نطق بها السيد المسيح في النور

4. لما صارت الظلمة على الأرض، قال السيد المسيح كلمة واحدة فقط، خاطب بها الآب السماوي.

ويمكن أن نسميها كلمة عتاب، أو كلمة كشفت لنا عمق الآلام الكفارية التي كان يحتملها السيد المسيح على الصليب، عندما صرخ قائلًا: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"

فهذه هي الكلمة الوحيدة التي قالها في ساعات الظلمة.

وبعد ذلك، عندما عاد النور في الساعة التاسعة، قال السيد المسيح ثلاث كلمات أخرى متلاحقة، ولم يكن هناك وقت طويل بينها.

5. فالكلمة الأولى قالها لكل إنسان في البشرية "أنا عطشان" وهذه كشفت شوق قلب السيد المسيح.

6. أما الكلمة السادسة، فخاطب بها الآب السماوي قائلًا "قد أُكمِل"

أي إن العمل الذي أعطيتني إياه قد أتممته. وكانت هذه كلمة نصرة؛ فقد انتصر المسيح رغم كل المقاومات، وأتم الفداء والصليب.

7. وأما الكلمة السابعة والأخيرة، فقد خاطب بها الآب السماوي أيضًا قائلًا: "يا أبتاه، في يديك أستودع روحي" وكانت هذه كلمة ثقة من السيد المسيح بأن عمله قد نال قبول الآب ورضاه.

ونلاحظ أن:

1. السيد المسيح بدأ أول كلمة وختم آخر كلمة بمخاطبة الآب السماوي. بل إنه من بين الكلمات السبع خاطب الآب في أربع كلمات منها وهذا يوضح أن كل فكر السيد المسيح على الصليب كان متجهًا نحو الله الآب.

- لكنه أيضًا، وهو على الصليب، تكلم مع البشر؛ فتحدث مع الأشرار ممثلين في اللص اليمين، وتحدث مع الأبرار ممثلين في العذراء مريم ويوحنا الحبيب.

2. في حديثه مع الآب استخدم تعبيرين مختلفين:

ففي الكلمة الأولى قال: "يا أبتاه"

وفي الكلمة الثانية قال: "إلهي، إلهي"

وهاتان الكلمتان لهما مدلول عميق جدًا.

فكلمة "يا أبتاه" يتكلم بصفته ابن الله الوحيد، الوحيد الذي له الحق أن يخاطب الآب السماوي بهذه الكلمة؛ لأنه الابن الوحيد الكائن في حضن الآب، يخاطبه بطبيعته كابن مساوي للآب في الجوهر.

وهذا يؤكد لاهوت السيد المسيح، ويُعد ردًا على بدعة أريوس التي ظهرت في القرن الرابع وأنكرت لاهوته.

أما عندما قال: "إلهي، إلهي" فهو يتكلم بصفته ابن الإنسان، وحامل الطبيعة البشرية، وممثل البشرية كلها.

ويُعد ردًا على بدعة أوطاخي التي ظهرت في القرن الخامس أنكرت ناسوت السيد المسيح

ومن خلال هاتين الكلمتين كشف السيد المسيح عن طبيعته أنه إله مساوٍ للآب في الجوهر، وهو أيضًا إنسان حامل للطبيعة البشرية.

3. كلمات السيد المسيح السبع كلها كانت كلمات عطاء.

ففي الكلمة الأولى قال: "اغفر لهم" فأعطى لصالبيه الغفران.

وفي الكلمة الثانية قال للص اليمين: "اليوم تكون معي في الفردوس" فأعطاه الفردوس.

وفي الكلمة الثالثة قال للعذراء مريم: "يا امرأة، هوذا ابنك"

فأعطاها رعاية يوحنا الحبيب، وأعطى ليوحنا بركة خاصة بأن تسكن أم الله في بيته.

أما في الكلمة الرابعة: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"

فقد قدَّم للآب الإيفاء الكامل لعدله الإلهي، تمم عدل الله الكامل وقداسة الله الكاملة.

وفي الكلمة السادسة: "قد أُكمِل"

أعطى البشرية كلها طمأنينة من جهة تمام الغفران وتمام الفداء

وحتى الكلمة التي يبدو فيها وكأنه يطلب شيئًا، وهي: "أنا عطشان"

ففي الحقيقة كان يعطي لا يأخذ.

فكما جلس مع المرأة السامرية وقال لها: "أعطيني لأشرب"

لم يكن هو الآخذ، بل كان هو الذي أعطاها ماء الحياة الذي يروي النفس إلى الأبد.

وهكذا أيضًا عندما قال: "أنا عطشان"

فإن كان عطشانًا إلى نفسك، فهو لا يأخذ منك شيئًا، بل يمنحك الارتواء والشبع الحقيقي.

انظروا إلى السيد المسيح في وقت آلامه وفي وقت تعبه. فالإنسان قد يستجيب لك في وقت راحته، لكن إن ذهبت إليه في وقت ضيق أو انزعاج قد يقول لك: ليس هذا وقته، ابتعد الآن.

أما السيد المسيح، ففي وسط آلامه كان يعطي.

وكما قال عن نفسه: "ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم"

لقد جاء ليبذل نفسه، ويعطي للآخرين.

والرقم سبعة هو رقم الكمال، وهذه العبارات السبع كشفت كمال شخص السيد المسيح.

وفي الكتاب المقدس سباعيات كثيرة، لكن أروعها هي سباعية كلمات المصلوب على الصليب.

فليعطنا الرب أن نخلع أحذيتنا، وأن تتقدس أفكارنا ونفوسنا، لكي نتقدم بانسحاق إلى الجلجثة، ونسمع كلمات، بل همسات السيد المسيح، وهي تدخل إلى قلب كل واحد منا، فتمنحه الثقة والفرح والطمأنينة.

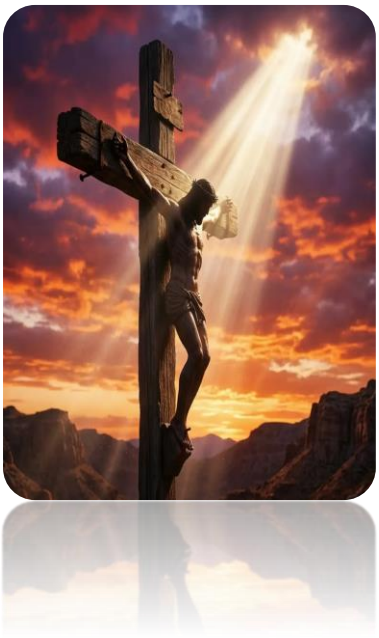

الكلمة الأولى "يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون"

الكلمة الأولى التي قالها السيد المسيح، وهو يخاطب الآب السماوي، كانت: "يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"

- لقد اعتدنا أن نرى السيد المسيح يجول المدن والقرى يصنع خيرًا.

لكن الآن، رجلاه مسمرتان على الصليب، فلا يستطيع أن يتحرك.

- واعتدنا أن نرى يديه تبسطان الخير، وتشبعان الجموع، وتلمسان المرضى فتشفيانهم. أما الآن، فهما مسمرتان على الصليب.

- واعتدنا أن نراه دائمًا معلمًا، يحوّل كل موقف وكل ظرف إلى فرصة للتعليم. أما الآن، وهو على الصليب، فقد هرب تلاميذه وأحباؤه، فوجد في ذلك فرصة ليختلي مع الآب السماوي، وبدأ يوجه حديثه إليه قائلًا: "يا أبتاه"

*لقد كانت حياة السيد المسيح كلها من أجل الآخرين

كان يقضي النهار كله في العطاء والبذل والتعب من أجل راحة الناس.

ولم يكن يرد إنسانًا يأتي إليه في أي وقت، حتى لو كان ذلك على حساب راحته أو خلوته.

فالكتاب يذكر أنه كثيرًا ما كان يأخذ تلاميذه إلى موضع خلاء ليستريحوا، لكن الجموع كانت تتبعه، فيخرج إليهم ويخاطبهم ويشبعهم.

ومرة أخرى، من كثرة الجموع، ذهب إلى نواحي صور وصيدا ليبتعد قليلًا مع تلاميذه، فجاءت إليه المرأة الكنعانية تصرخ، فلم يرفضها، بل استجاب لطلبها.

كان السيد المسيح يعيش دائمًا من أجل الآخرين، ولذلك كان يستغل الليل ليختلي بالآب في الصلاة.

أما الآن، وهو على الصليب، ويداه ورجلاه مسمرتان، فقد وجد في ذلك فرصة للحديث مع الآب السماوي.

*وهذا درس جميل لنا

فكثيرًا ما يشعر الإنسان في وقت الضيق أو التعب أن الجميع قد تركوه، وأنه واقف وحده. لكن هذه قد تكون فرصة للجلوس مع الله. فنحن للأسف، عندما نجد الناس قد ابتعدوا عنا، تتعب نفوسنا وننزعج.

وأحيانًا، وسط دوامة الحياة والانشغال المستمر، لا يجد الإنسان وقتًا لله.

قد يسمح الله بمرض أو تجربة، لا ليحطم الإنسان، بل ليقول له: اهدأ قليلًا، أريد أن أجلس معك، أنت مشغول عني.

أتذكر كلمة جميلة قيلت عن أبونا بيشوي في فترة مرضه. فقد زاره رجل كبير وقال له: أنا حزين لأجلك من أجل هذه النومة الطويلة. فأجابه أبونا بكلمة لطيفة جدًا:

"أيهما أفضل أن أمشي على قدمي وأنظر إلى الأرض، أم أن أنام على ظهري وأنظر إلى السماء؟"

لقد قضى أبونا بيشوي حياته في الخدمة، وكان يقضي الليل كله في الصلاة، لكن فترة المرض صارت له فرصة أعمق للخلوة مع الله.

إذًا وقت الآلام ووقت تخلي الناس عنا قد يكون دعوة إلهية للخلوة مع الرب.

السيد المسيح في وسط ألمه، وفي وسط آلام الصليب الرهيبة، كانت أول كلمة خرجت من فمه

"يا أبتاه"يناجي الآب السماوي.

وأيضًا رغم الآلام، ورغم التعب، ورغم الإهانة، ورغم الصليب، لم يفقد ثقته في بنوته للآب.

فلمَّا دخل في الألم لم يفقد ثقته في الآب، ولم يشعر أن الآب قد تركه.

وبصدق حين يتأمل الإنسان في أحداث الآلام، يشعر وكأن يد الله الضابط للكل قد أفلت الزمام من يده. فعندما ترى أحداث الصليب، وترى الابن الوحيد الذي في حضن الآب، المساوي للآب في الجوهر، وما تعرض له من آلام متتابعة منذ مساء الخميس وحتى يوم الجمعة العظيمة، قد يتبادر إلى الذهن كيف يسمح الله بكل هذا؟

لكن حتى في تلك اللحظات، ورغم الآلام الشديدة والإهانات القاسية التي تعرض لها السيد المسيح، لم تهتز ثقته مطلقًا في أبيه السماوي، بل ظل يخاطبه قائلًا "يا أبتاه"

وهذا هو الدرس الذي نتعلمه فمشكلتنا نحن أن ثقتنا في الله كثيرًا ما تهتز وقت الألم. لقد قال السيد المسيح "لعازر حبيبنا قد نام "

فليس معنى الآلام أننا لم نعد أحباء لله، وليس معنى الآلام أن الله قد تركنا، أو أنه تخلى عنا.

حتى في وسط الألم، لم تهتز ثقة السيد المسيح في أبيه السماوي. وهذا درس لنا جميعًا

مهما اشتدت الآلام، ثق أنك ما زلت موضع محبة الله وموضع رعايته.

وثق أن الآلام التي يسمح بها الله نافعة لخلاصك

فالكتاب المقدس يقول صراحة "الذي يحبه الرب يؤدبه"

فإن كنت واقعًا تحت تأديب، فاطرد من ذهنك فكرة أن الله قد تركك. واطرد من فكرك أنه غاضب عليك أو أنه تخلى عنك. بل ضع في قلبك هذه الحقيقة أن الله يحبك، وأن ما يسمح به من آلام هو أيضًا علامة من علامات محبته ففي وسط آلام السيد المسيح كان يناجي الآب السماوي قائلًا "يا أبتاه"

لكن السؤال: في آلامه كان يصلي لأجل مَن؟

هل كان يصلي لأجل نفسه؟

هل كان يصلي لأجل تلاميذه؟

العجيب أنه في وسط هذه الآلام كان يصلي لأجل الذين كانوا يؤلمونه، ويصلي لأجل صالبيه، ويصلي لأجل الذين أهانوه.

أقول لكم إن كلمات السيد المسيح تستحق أن تُكتب بحروف من ذهب، لأن كل كلمة منها تصلح أن تكون منهجًا لحياة الإنسان.

فقِس نفسك وأقيس نفسي: عندما تتألم، ماذا تكون صلاتك؟

الذي يصلي في وقت الألم، ماذا يطلب؟

يقول: يا رب اشفني. أو يا رب اهتم بأولادي. أو يا رب احفظ بيتي.

أما السيد المسيح، ففي وسط آلامه كان يصلي لأجل صالبيه.

عجيبة جدًا هذه المحبة.

- فالرومان الذين عاملوه بهذه القسوة، ماذا فعل لهم المسيح حتى يعاملوه هكذا؟ أي شر صنعه لهم؟

حقًا كما قال المزمور "أبغضوني بلا سبب"

بل إن الأمر أعجب من ذلك؛ فربما إذا أساء إنسان إلى آخر نفهم سبب الغضب، أما السيد المسيح فقد أحسن إليهم.

- واليهود أيضًا، ماذا رأوا من المسيح ؟

ومع ذلك صرخت الجموع "اصلبه اصلبه ...دمه علينا وعلى أولادنا" ورغم هذه البغضة الشديدة، ورغم كل ما فعله من خير معهم، ظل السيد المسيح يطلب من أجلهم قائلًا "يا أبتاه اغفر لهم"

قال أحد الآباء إن الناس طلبوا من السيد المسيح أن يصنع معجزة وينزل عن الصليب، لكن معجزته الحقيقية على الصليب كانت هذه الكلمة أن الذي يُصلبونه ويقتلونه يطلب لهم الغفران.

وقال آخر كلمة بديعة:

لو أننا لا نعرف عن السيد المسيح سوى هذه الكلمة وحدها، فهي كافية لترفعه فوق مستوى كل البشر، وتجعلنا نؤمن أنه حقًا ابن الله ففي وسط آلامه يصلي من أجل الغفران لصالبيه.

وعندما نرجع إلى الكتاب المقدس نجد أن الغفران أمر صعب جدًا على الطبيعة البشرية

- فشمشون صلى في نهاية حياته، لكن ماذا كانت صلاته؟

قال "اذكرني يا رب هذه المرة لأنتقم من أعدائي" طلب الانتقام.

- وإرميا النبي، صاحب القلب الرقيق، لما تألم من مقاوميه قال للرب "دعني أرى انتقامك"

وفي موضع آخر "اجلب عليهم الشر"

لأن التسامح ليس أمرًا سهلًا على الطبيعة البشرية.

أما السيد المسيح فقد علّمنا "أحبوا أعداءكم، باركو لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم"

والسيد المسيح عمل بما علّمه. فهو نفسه صلى لأجل صالبيه. وهنا تكمن عظمة السيد المسيح.

فالكلام عن الغفران سهل، لكن عندما يدخل الإنسان في دائرة الألم أو الإهانة أو التجريح، يكتشف أن الغفران أمر بالغ الصعوبة. أما المسيح فلم يترك لنا تعاليم فقط، بل ترك لنا مثالًا عمليًا.

ولهذا قيل بحق لو لم نعرف عن السيد المسيح سوى هذه الكلمة، فهي تجعله فوق جميع البشر، تجعله بحق هو ابن الله.

*لقد صلى كثير من الأبرار من أجل الآخرين

- فأبونا إبراهيم صلى من أجل سدوم، لكن كان هناك لوط ابن أخيه بينهم.

- وموسى صلى من أجل الشعب، لأنه شعبه الذي يحبه.

- أما السيد المسيح فصلى من أجل أعدائه، ومن أجل صالبيه، ومن أجل مبغضيه.

والأجمل من ذلك أنه لم يفعل هذا وحده، بل أعطى لمؤمنيه إمكانية أن يعيشوا هذه الحياة.

فكل ما فعله السيد المسيح في الجسد أعطى للطبيعة البشرية إمكانية أن تفعله فيه.

لذلك عندما يقول أحدهم "كيف أسامح؟" أو يقول "المسيح يستطيع أن يسامح لأنه المسيح، أما نحن فبشر"

وفي العهد القديم كان المبدأ "عين بعين وسن بسن"

أما بعد تجسد المسيح، وبعد أن حمل طبيعتنا، بعد أن بارك الطبيعة البشرية وسامح وغفر لصالبيه، فقد أعطانا إمكانية الغفران. لذلك اطلبوا هذه العطية من الله. إنه أسبوع الآلام.

وصدقوني، لو قضى الإنسان حياته كلها طالبًا من الله قلبًا غافرًا ومسامحًا ونال هذه النعمة، يكون قد اختبر حقًا معنى البصخة، ومعنى العبور.

- القديس استفانوس كان يُرجم ويردد نفس ذات الكلمات "هأنذا أرى السماء مفتوحة وابن الإنسان جالسًا"، وقال "يا رب، لا تقم لهم هذه الخطية". المعلم بدأ، ومن ورائه مؤمنون، ومن ورائه تابعون. لقد أعطانا هذه الإمكانية.

- امرأة أخطأ زوجها مع امرأة أخرى، وظل ضميره يؤنبه جدًا، فمن شدة التعب وتأنيب الضمير ذهب ليصارح زوجته، فصُدمت المرأة جدًا وبكت بشدة، لكن في النهاية قالت له "إنني رأيت الحب مصلوبًا من أجل خطيتي فأنا من أجل المسيح أسامحك". وعاشت مع زوجها وأكملت حياتها معه، وكانت سببًا في تغيير زوجها.

ليس من السهل على امرأة أن تسامح زوجها الخائن، لكن هذا التسامح هو ثمرة الصليب، ثمرة كلمة السيد المسيح "يا أبتاه اغفر لهم" لقد أعطانا هذه الإمكانية.

قرأت قصة حدثت في إسبانيا سنة 1931 عندما كانت الشيوعية تحكم إسبانيا، وهي حادثة قريبة، فأنا لا أحكي لكم عن القرون الأولى. أمسكوا مرة بكاهن لكي ينكر الإيمان بالمسيح، وأمام إصراره أمسكوه وكتفوا يديه الاثنتين وربطوهما خلف ظهره، وأخذوه لكي يلقوه في النار. وبينما كان ذاهبًا، وقبل أن يُلقى في النار، طلب من العساكر وقال لهم: لي طلب. فقالوا له: ماذا تريد؟ قال لهم: فكوا يديّ لكي أبارككم بإشارة الصليب قبل أن أموت. فغضب أحد العساكر من هذه الكلمة، فأمسك السيف وقطع يديه الاثنتين عند الحبل، فانفكتا بعد أن قُطعتا. فرفع ساعديه والدم يسيل على رؤوسهم، وباركهم بعلامة الصليب، وقال: طأنا أسامحهم يا رب، لكن رجائي عندك أن تغفر لهم هذه الخطية. هذا إنسان عاش منذ سبعين سنة.

لكي لا أثقل على ضميري أو على ضمائركم، فالتدرج في الفضيلة أمر حسن.

هذا هو المستوى الذي يريد المسيح أن يرفعني إليه. هل أنا في هذه الدرجة؟ لا. ربما عندما يُهان الإنسان، أو عندما يُظلم، يكون رد الفعل شديدًا. لكن بعد أن يهدأ الإنسان بينه وبين نفسه، فليطلب الغفران لمن ظلمه، وليطلبه من قلبه.هذه درجة أبدأ بها الآن مع نفسي.

وربما عندما نصل إلى ثمرة الثلاثين، تتحنن علينا نعمة المسيح فترفعنا إلى الستين، ثم يتحنن علينا بنعمته الفياضة فترفعنا إلى المئة، ونصل إلى هذه الدرجة.

لكن على الأقل، دعونا نبتعد عن تلك الكلمة التي نسمعها كثيرًا إنسان ظلمني، أو إنسان أتعبني، لا أسامحه. كيف أسامحه؟ ثم يمر على الموضوع شهر، وسنة، وعشر سنوات. كيف أسامح وأنا لا أستطيع أن أنسى ما فعله بي؟

المسيح هو الشخص الوحيد الذي في تجسده لم يقل "يا أبتاه اغفر لي". لم ينطق بها قط، لأنه بار وقدوس وبلا خطية.

لقد اعتدنا أن السيد المسيح في تجسده هو الذي يغفر؛ فعندما جاء إليه الإنسان المفلوج قال له "يا بني مغفورة لك خطاياك". والمرأة الخاطئة قال لها "اذهبي، مغفورة لك خطاياك"

أما اليوم وهو على الصليب فلا يقول لهم مغفورة لكم خطاياكم، بل يقول للآب "يا أبتاه اغفر لهم" لماذا؟

لقد قال السيد المسيح "إن لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا". هذا سلطانه وهو على الأرض، أما الآن فهو معلق بين الأرض والسماء. ولماذا هو معلق على الصليب، وهو القدوس البار؟

لأنه حامل خطايانا، فهو ممثل البشرية. وكممثل للبشرية يخاطب الآب ويقول له اغفر لهم. أنا معلق على الصليب بدلًا منهم. أي إن قداسة الله وعدالة الله قد استوفَت حقها، فأنا حملت خطاياهم، فاغفر لهم وأنا على الصليب. لذلك قال "يا أبتاه اغفر لهم"

وهنا يا أحبائي انكشفت مكانة السيد المسيح كشفيع كفاري عن البشرية.

قلت لكم أولًا إنه لم يقل في حياته يا أبتاه اغفر لي، لأنه بار وقدوس وبلا خطية. فالبار القدوس الذي بلا خطية لماذا يموت على الصليب الآن؟ لأنه يموت عنا، أي مات فدية عنا. لذلك قال إشعياء "وُضع عليه إثم جميعنا"

وأصبح الغفران الذي تتمتع به الكنيسة مبنيًا على رحمة الله "هكذا أحب الله العالم" ومبني أيضًا على عدالة الله. فأصبح الغفران المسيحي مبنيًا على هذين الأمرين عدالة الله ومحبة الله.

لا يمكن أن يعمل الله عملًا ضد طبيعته. فطبيعة الله عادل، والإنسان أخطأ، ولذلك يجب أن يموت الإنسان. ولا يمكن أن أتكل على رحمة الله دون إرضاء عدله. فرحمة الله عادلة، وعدل الله رحيم.

البعض اتكل على رحمة الله وقال إن الله رؤوف ورحيم، إذًا يغفر. ولكن ماذا عن عدالة الله؟ إما أنه لم يدرك معناها، أو أنه أدركها ولم يجد لها حلًا فتجاهلها

لا. لو أنني وقفت في محاكمة أمام قاضٍ مشهور بأنه إنسان رحيم جدًا، فهل يطمئن قلب الإنسان بأن هذا القاضي، ما دام رحيمًا، سيكسر القانون؟ هل لأنه رحيم سيتجاوز القانون؟ لا.

هو رحيم، ولكنك ستقع تحت عدله.

لذلك لا يتقدم الإنسان إلى الله واثقًا فقط في رحمة الله، بل لأن عدل الله قد تم. ولهذا لا تتعجب عندما تسمع أن كل الأديان، رغم الصوم والصلاة والعطاء والممارسات الدينية الكثيرة، إذا سألت أي مؤمن في أي دين هل تثق في غفران الله؟ يقول لك: لا، أنا أفعل هذا لعل الله يغفر لي، ربما.

أما إذا سألت الإنسان المسيحي هل تثق في غفران الله؟ فيقول: نعم.

فتقول له من أين جئت بهذه الثقة؟

فيقول بدم الصليب. أنا خاطئ وأستحق الموت، لكن المسيح على الصليب دفع ديني.

لذلك أقول يا أحبائي هذه هي عظمة الغفران المسيحي.

ولهذا قال معلمنا بولس الرسول بهذا، أي بالمسيح المصلوب، "ينادي لكم بغفران الخطايا". أما بدون المسيح المصلوب فلا يوجد غفران للخطايا.

ولذلك قال القديس يوحنا "أكتب إليكم أيها الأولاد، لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه"

لقد غُفرت خطايانا بوجع صليب المسيح.

أما السؤال الذي ينبغي أن نخرج به هل تشعر بهذا الغفران؟ أم ما زال لديك ضمير الخطايا، ضمير الوسواس؟

فقد تجد إنسانًا اعترف وتاب وتناول، ثم يقول: يا أبونا، هل يعقل أن الله قد سامحني؟

ما هذا؟ هذا يُسمى ضمير الخطايا.

وهذا كان حال الشعب في العهد القديم. كانوا يأتون بالذبيحة ويذبحونها، وكان رش الدم يعطي طهارة للجسد فقط، لكن ضمائرهم كانت متعبة.

أما معلمنا بولس الرسول ففي الرسالة إلى العبرانيين قال "فكم بالحري يكون دم المسيح ... يطهر ضمائركم" لذلك يجب ألا يكون لنا ضمير الخطايا.

فالخطية التي اعترفت بها، والتي قدمت عنها توبة، والتي تناولت بعدها، ثق أن المسيح قد غفرها

من أين آتي بهذا الضمير الواثق، الضمير المرشوش بدم المسيح؟ اقرأ كلمة الله كثيرًا.

فالقديس يوحنا يقول لك "أكتب إليكم ... لأنه قد غفرت لكم الخطايا"

ويقول "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا"

وقال لنا عن خطايانا التي نعترف بها، وفي دم المسيح "لا أعود اذكرها"، و "أمحو كغيمة ذنوبك"

أتعرف عندما تكون هناك غيمة وتنزل منها قطرات ماء، ثم تبحث عنها فلا تجدها؟ لقد اختفت.

وهناك قصة ربما حكيتها من قبل، لكنني أذكرها الآن لأن هذا موضعها.

كانت هناك امرأة طيبة تصلي للعذراء كثيرًا، وكانت تذهب إلى الأسقف وتقول له إن العذراء تظهر لها. وكان الأسقف يظن أنها تتوهم. وفي إحدى المرات، ومن كثرة ما كان يقول لها: كفي عن هذا الكلام، قال لها: حسنًا، عندما تأتيك العذراء اسأليها ما هي الخطيئة التي فعلتها أنا. فظهرت لها العذراء، فذهبت إلى الأسقف وقالت له: لقد ظهرت لي. فقال لها: هل سألتِها عن خطيئتي؟ قالت له: نعم.

قال: وماذا قالت لك؟ قالت: لقد ذهبت لتسأل المسيح، فقال لها المسيح: أنا نسيت خطيئته، لأنه اعترف بها وتاب عنها.

المسيح يقول له: أنا نسيت الخطية لأنه اعترف بها.

يا أحبائي، هذا هو الغفران المسيحي.

فإن أخذت كل شيء، وبقي ضميرك موسوسًا، وبقي ضميرك يتعبك، وبقي لديك ضمير الخطية، فلن ترتاح.

إن راحة المسيحي في ثقته في الغفران "اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"

هل معنى هذه الصلاة أن اليهود الذين صلبوا المسيح قد غُفرت لهم خطاياهم؟ وهل الرومان الذين صلبوا المسيح قد غُفرت لهم خطاياهم؟

لقد برّأت بعض الكنائس اليهود من دم المسيح بحجة أن المسيح قال على الصليب "يا أبتاه اغفر لهم" وبالتالي تكون خطيتهم قد غُفرت. لكن هذا غير صحيح

فحين قال السيد المسيح هذه الكلمة، كان يمنحهم فرصة للتوبة. بمعنى أنهم إن سمعوا الكرازة باسم المسيح، وقبلوا الإيمان باسمه، واعترفوا بأنه ابن الله الذي صُلب من أجل خطاياهم، فإن خطاياهم تُغفر.

تخيلوا معي لو أن الذين صلبوا المسيح لم يسمعوا هذه الكلمة منه على الصليب، ثم بعد ذلك سمعوا كرازة الرسل. سواء كانوا من اليهود الذين صرخوا "اصلبه، اصلبه"، أو من الرومان الذين اشتركوا في عملية الصلب، فكل واحد منهم كان سيقول: كيف يمكن أن يغفر لي؟ نعم، ربما يغفر للناس جميعًا، أما أنا فقد صلبته، وأنا الذي دققت المسامير في يديه، فهل يمكن أن يسامحني؟

لو لم ينطق السيد المسيح بهذه الكلمات، لما استطاع اليهود الذين قبلوا الإيمان بالمسيح بعد عظة بطرس الرسول أن يتوبوا. لذلك قال السيد المسيح هذه الكلمة لكي يمنح الذين اشتركوا في الصلب، والذين صرخوا "دمه علينا وعلى أولادنا"، فرصة للتوبة إن هم آمنوا به واعترفوا بصليبه.

ولهذا ظل المسيح صابرًا على اليهود أربعين سنة كاملة، مانحًا إياهم فرصة للرجوع والتوبة. ولكن عندما لم يتوبوا، وقع عليهم غضب الله. فجاء تيطس سنة 70 ميلادية وهدم الهيكل، حتى إن التاريخ يروي أنه لم تبقَ أشجار في أورشليم وما حولها، لأنهم كانوا يقطعون الأشجار لصنع الصلبان التي يعلقون عليها اليهود. وهذا يوضح حجم المذبحة المروعة التي تعرض لها اليهود بسبب إصرارهم على عدم التوبة.

جميلة جدًا كلمة المسيح "لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"

-بهذه الصلاة تاب لونجينوس، ذلك الجندي الذي أمسك الحربة وطعن بها جنب السيد المسيح. فلولا صلاة السيد المسيح "يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"، لما تاب لونجينوس، بل إنه صار بعد ذلك شهيدًا من أجل المسيح، والكنيسة تحتفل بتذكاره. تخيلوا! هذا هو الذي طعن المسيح بالحربة.

-ولولا هذه الكلمة أيضًا لما كان هناك قبول لشخص مثل بولس الرسول.

لقد اعتبر السيد المسيح خطيتهم كأنها خطية جهل، إذ قال "لا يعلمون ماذا يفعلون". وكأنه يقول للآب إنهم لا يدركون حقيقة ما يفعلونه، لقد فعلوا ذلك في جهل وعدم معرفة.

قد يقول أحدهم أحقًا؟ الذين خططوا وتآمروا، والذين دفعوا الفضة ليهوذا الخائن، والذين حرّضوا الجموع على الصراخ "اصلبه"، والذين حرّضوا بيلاطس، وأقاموا شهود زور، ودبروا كل هذه الأمور، هل يُقال عنهم إنهم لا يعلمون ماذا يفعلون؟

نعم يا أحبائي، هكذا هي محبة المسيح. لقد أراد أن يعتبر ما فعلوه وكأنه تم عن جهل، أو دون إدراك كامل.

وهذه الكلمة لم يقلها المسيح للمسيحيين فقط، بل للعالم كله. حتى الإنسان الذي بلغ به العناد أن يقاوم المسيح ويجدف عليه ويضطهد أولاده، فإن هذه الكلمة تمنحه رجاءً إن رجع وتاب فخطاياه تُغفر.

وقد قال أحد الوعاظ كلمة جميلة، متخيلًا أن السيد المسيح ظهر لبطرس بعد القيامة وقال له:

- يا بطرس، اذهب وابحث عن الجندي الذي بصق في وجهي، وقل له إنني قد سامحته.

- واذهب إلى الذي وضع إكليل الشوك على رأسي، وقل له إنه إن قبل الإيمان بي فسأعطيه إكليلًا سماويًا لا شوك فيه.

- واذهب إلى الذي أمسك القصبة وضرب بها إكليل الشوك ليغرسه في رأسي، وقل له إنه إن آمن بي فسأعطيه قصبة الملك السماوي ليملك معي في ملكوت السماوات.

- واذهب إلى الجندي الذي طعن جنبي، وقل له إن هناك طريقًا أقصر للوصول إلى قلبي؛ فبدلًا من أن تطعنني بالحربة لتصل إلى قلبي، آمن بي وسأقبلك.

"يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" هذه هي الكلمة الأولى كلمة الغفران

الكلمة الثانية هي الكلمة التي قالها السيد المسيح للص اليمين

"الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس"

إن كنا بالكلمة الأولى ننال الغفران، فبالكلمة الثانية ننال ثمرة الغفران، وهي انفتاح الفردوس.

"اليوم تكون معي في الفردوس"

الوحيد الذي ذكر هذه الكلمة من بين الإنجيليين الأربعة هو معلمنا القديس لوقا.

- هذه الكلمة كشفت قوة المسيح على الخلاص، وقدرته العجيبة، ومعجزة نعمته في غفران الخطايا.

- وهذه الكلمة كانت ولا تزال سببًا في توبة وقبول عدد لا يُحصى.

- لصٌّ في آخر حياته سمع كلمة السيد المسيح "الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس"

أريدكم أن تتأملوا منظر الجلجثة؛ تنظرون فتجدون لصًا مصلوبًا عن اليمين، ولصًا عن الشمال، والمسيح في الوسط.

ولماذا وُضع المسيح في الوسط؟

لقد اشترك لص اليمين ولص الشمال في عمل واحد، فاستحقا أن يموتا معًا. أما المسيح فلم يشترك معهما في شيء. لقد وضعوه في الوسط بقصد التحقير والإهانة، إذ صلبوه بين لصين لكي يقللوا من شأنه.

لكن ما فعله الرومان بقصد التشهير بالمسيح لم يكن صدفة، بل كان داخلًا في خطة إلهية وتدبير إلهي، وكان إتمامًا للنبوة؛ لأن إشعياء قال عن السيد المسيح "أُحصي مع أثمة"

فلو سألت يهوديًا يوم الصلب: كم شخصًا صُلب اليوم؟ لقال لك: ثلاثة؛ لص اليمين، ولص الشمال، ويسوع. وهكذا أُحصي مع الأثمة.

- وأيضًا سمح السيد المسيح أن يحدث ذلك لأنه جاء من أجل الخطاة. فقد عاش طوال حياته وسط الخطاة والعشارين، وحتى في موته مات في وسطهم ومات معهم؛ لأنه قال عن نفسه إن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك.

- وعندما نرجع إلى الأناجيل الأربعة نجد أنه في بداية الصلب كان اللصان يعيرانه؛ لص اليمين ولص الشمال.

وهنا أسأل السؤال نفسه ما الذي فعله المسيح لكما حتى تعيّراه؟

حقًا إنها النبوة القائلة "أبغضوني بلا سبب"

فلا تحزن إذا قلت إن الذين في العمل يضايقونني وأنا لم أفعل لهم شيئًا. لأن التلميذ ليس أفضل من معلمه. فالمسيح ماذا فعل؟ صنع كل خير.

إذًا لماذا أبغضوه؟ ولماذا كان اللصان يعيرانه؟ ماذا فعل لهما؟ "أبغضوني بلا سبب"

وإن كانوا قد فعلوا هكذا بالعود الرطب، فماذا يُفعل باليابس؟

فلا يتذمر الإنسان ولا يتضايق عندما يجد بغضة حوله وهو لم يفعل شيئًا. بل وأكثر من ذلك، لا تحزن إن صنعت خيرًا فكوفئت شرًا، كما قال المزمور "جازوني شرًا عوضًا عن خير"

إن هذا المنظر، المسيح معلق على الصليب، وعن يمينه لص، وعن شماله لص، أحدهما قبل الإيمان به واعترف به ربًا وفاديًا ومخلصًا، أما الآخر فظل يعيره. ما معنى ذلك؟

هذه هي البشرية، الصليب مُعلن للجميع

والعجيب أن اللصين كانا على مسافة متقاربة من السيد المسيح، وقد سمعا الكلام نفسه، وشاهدا الأحداث نفسها، لكن أحدهما قبل الإيمان بالمسيح، والآخر رفضه.

فماذا كانت النتيجة؟ أنه بعد الموت صار بينهما هوة عظيمة.

فالذي قبل الإيمان بالمسيح واعترف به خلص، أما الآخر الذي ظل يعيره ويستهزئ به ويسخر من صليبه فقد هلك.

إذًا هذا هو منظر البشرية، إن الجلجثة تمثل صورة البشرية كلها

"أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوبًا"

- فإما أن يقبل الإنسان الإيمان بالمسيح البار القدوس الذي مات عوضًا عن خطاياك. ولا يوجد طريق آخر للغفران إلا الصليب. فالذي يقبل هذا الإيمان يخلص.

- أما غير المؤمنين الذين يعيرون الصليب، ويهينونه، ويجدفون عليه، وينكرون صلب المسيح، فليس لهم غفران. هذا هو منظر الجلجثة، وهو منظر البشرية كلها.

*تعالوا نتأمل في إيمان اللص العجيب.

- كان السيد المسيح في منتهى الضعف، في إهانة وتحقير، مصلوبًا، وعلى حد تعبير إشعياء النبي

"لا صورة له ولا جمال" ومع ذلك يقول له اللص اليمين "يا رب" فيعترف بربوبيته.

- ويراه في حالة ضعف، غير قادر أن يخلّص نفسه، ومع ذلك يعترف بأنه قادر على خلاص الآخرين، فيقول له "اذكرني"

- وفي الوقت الذي تركه فيه أحباؤه، أعلن هو انضمامه إليه وإيمانه به، فقال "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك"

إن اللص اليمين هو باكورة صليب المسيح

وهناك مفارقة عجيبة جدًا؛ فهناك لص آخر عاش مع المسيح ثلاث سنوات ونصف، ورأى المسيح في مجده، ورآه يصنع المعجزات، بل وأخذ قوة من المسيح حتى إنه كان يصنع المعجزات باسمه، وفي النهاية هلك.

أما هذا اللص الآخر، فقد جلس مع المسيح ساعات قليلة، ولم ير قوة المسيح، بل رآه في منتهى الضعف، ورأى الجميع قد تركوه، ومع ذلك آمن به فخلص.

اللص الأول هو يهوذا، واللص الثاني هو لص اليمين.

وما أجمل الصلاة التي طلبها حين قال له "اذكرني"

إن شهوة قلب كل إنسان هي ألا تُمحى ذكراه من على الأرض. وهذا أمر موجود في الطبيعة البشرية؛ لأن الله خلق الإنسان وفي داخله حب الخلود.

فالإنسان عندما يرى نفسه يموت، يرغب أن تبقى ذكراه، فيقيم النصب التذكارية، ويصنع ما يستطيع لكي يبقى اسمه موجودًا.

وهذا هو سر حزن بعض الناس بسبب عدم الإنجاب؛ إذ يقول الإنسان أريد أولادًا لكي يحملوا اسمي، ولكي لا يُمحى اسمي. فالإنسان بطبيعته يحب أن يُذكر من جيل إلى جيل.

لكن أقول لكم إن كل هذه الأمور ستؤول في النهاية إلى التراب.

أما إن كنت تريد أن تدوم ذكراك إلى الأبد، فقد قال المزمور "ذكر الصديق يدوم إلى الأبد"

والشيء الوحيد الذي يحفظ لنا ذكرنا أبديًا هو الإيمان بالمسيح

وأعظم مثال على ذلك هو هذا اللص

وإلى اليوم لا تزال الكنيسة تتغنى بهذا اللص وباسمه. وكما يقول تقليد الكنيسة إن اسمه ديماس، لص اليمين، فبقيت ذكراه عطرة في الكنيسة.

- عندما يضع الشيطان في قلبك أن الله قد نسيك، فتذكر هذه الكلمة "اذكرني يا رب"

فالذي ذكر لص اليمين، والذي قال إنه يذكر عصافير السماء، لا يمكن أن ينساك.

- وعندما يقول لك الشيطان "قد قالت صهيون قد تركني الرب"

فتذكر هذه الكلمة. اللص قال له "اذكرني" فذكره.

فكم بالأكثر يذكر أولاده الصارخين إليه نهارًا وليلًا؟

- إنها طلبة جميلة جدًا التقطتها الكنيسة وصارت تتغنى بها يوم الجمعة العظيمة

"اذكرنا يا رب متى جئت في ملكوتك. اذكرنا يا سيد. اذكرنا يا قدوس"

لقد أخذتها الكنيسة من فم اللص، وصارت ترنيمة لها، ليس فقط في كل جمعة عظيمة، بل أيضًا كل يوم في صلوات الأجبية في الساعة التاسعة، إذ نردد كلمات اللص ونقول "يا رب، كما ذكرت لص اليمين، اذكرنا"

"اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك"

لقد اعترف اللص بأن المسيح رب، واعترف بربوبيته، واعترف بأن للمسيح ملكوتًا، وأنه قادر أن يخلّصه ويحفظه للملكوت السماوي.

*لكن السؤال هو من أين أتى هذا اللص بهذا الإيمان؟

نحن نقول في مديحة الجمعة العظيمة إنه لم يرَ معجزات، وقضى حياته كلها لصًا وسارقًا.

- بطرس التلميذ الذي رأى المعجزات أنكر، أما اللص الذي رأى المسيح معلقًا على الصليب فقد آمن.

ولذلك تقول الكنيسة "ماذا رأيت حتى آمنت وصرخت وقلت اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك؟"

- ربما سمع كلام الناس الواقفين تحت الصليب وهم يقولون "خلّص آخرين"

فقال في نفسه ما دام قد خلّص آخرين، فهو قادر أن يخلّصني أنا أيضًا.

- وربما قرأ اللوحة التي كتبها بيلاطس "هذا هو يسوع ملك اليهود" فآمن أن له ملكوتًا.

- ولم يرَ إكليل الشوك، بل رأى تاج ملكوته وتاج مجده، فصرخ "اذكرني متى جئت في ملكوتك"

- وربما رأى صمت المسيح واحتماله، فأيقن أنه ليس إنسانًا عاديًا، فقال "اذكرني يا رب"

- وربما كانت صلاة المسيح لأجل صالبيه هي السبب؛ عندما سمع أول كلمة نطق بها السيد المسيح "يا أبتاه، اغفر لهم" فآمن.

- وربما اجتمعت كل هذه الأمور معًا لكن فوق كل ذلك

إيمان هذا اللص هو عمل نعمة المسيح الغنية

إن نعمة الله تجول في كل القلوب، وتبحث عن قلب لديه الإرادة أن يقبل عمل الله.

كان داخل هذا اللص طبيعة طيبة واشتياقات صالحة، فلما لمست النعمة قلبه آمن، وصرخ معترفًا بربوبية السيد المسيح. وهكذا صارت قصة هذا اللص معجزة من معجزات نعمة الله الغنية.

* تأملوا أيضًا في إيمان هذا اللص العجيب

- أولًا قلت لكم إن هذا اللص كان في البداية يعير المسيح مثل اللص الشمال، لكنه فجأة توقف عن التعيير.

وليس من السهل على الإنسان أن يقف ضد التيار.

كان الجميع يعيرون المسيح ويهينونه، وكان الأسهل أن يسير معهم، لأن الوقوف ضد التيار متعب.

لكن اللص وقف ضد التيار، وكف عن تعيير المسيح وهذا درس لنا.

فكم من مرة نرى الشر منتشرًا، أو نرى الجميع يفعلون شيئًا خاطئًا، فنقول ما دام الجميع يفعلون ذلك، فلنفعل مثلهم لكن هذا اللص يوبخنا. كان يمكنه أن يسير مع الجموع، لكنه قال: لا.

- الأمر الثاني أنه بدأ يوبخ اللص الشمال، وقال له أنت على وشك الموت، ومع ذلك لا تخاف الله؟

الذين يصرخون تحت الصليب ما زالوا أحياء، أما نحن فنموت.

فكيف حتى في ساعة موتك لا تخاف الله؟ ومن أين جاءت لهذا اللص مخافة الله؟من أين عرفها وهو لص وسارق؟ ومع ذلك وقف يوبخ اللص الآخر.

بل أكثر من ذلك، وقف يدافع عن السيد المسيح "أما هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محله" (لو 23 : 41)

وهذه هي قمة ما فعله هذا اللص.

لقد دافع عن المسيح، وعن قداسة المسيح، وعن براءة المسيح.

وقال "أما هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محله"

ثم في توبة وانسحاق واعتراف قال "أما نحن فبعدل، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا"

نحن نستحق ما يحدث لنا.

لكن إن كنت تقول إن المسيح لم يفعل شيئًا يستحق عليه العقاب، فلماذا يُصلب إذًا؟ ولماذا يموت؟

إذًا فهو يموت عن خطايا آخرين. إذًا هو يموت عن خطيتي.

ولذلك صرخ إليه قائلًا "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك"

كأنه يقول له أنت تموت من أجل خطاياي. أنت قدوس وبار، ولا ينبغي أن تموت. أما أنا فأستحق الموت لأنني خاطئ. فلماذا تموت أنت؟

إن كنت قدوسًا وأجرة الخطية هي الموت، فأنت إذًا تموت عوضًا عني.

ولذلك قال "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك"

إن إيمان هذا اللص يمثل توبيخًا شديدًا لنفوسنا

ففي وسط هذا التيار وقف يدافع عن المسيح. فليراجع كل واحد منا نفسه.

كم من مواقف أقل شدة وأقل ضراوة من هذا، ومع ذلك يتراجع الإنسان عن إيمانه أو يخجل منه.

وأعتقد أننا عندما نقف أمام لص اليمين سيكون موقفنا مخجلًا جدًا. أما هو، ففي وسط كل هذه الظروف، وقف بشجاعة يدافع عن المسيح.

إن توبة هذا اللص هي عمل نعمة الله الغنية. هذا اللص هو فعلًا من أصحاب الساعة الحادية عشرة.

هذا اللص أثبت أن الله قادر أن يخلّص في أسوأ الظروف، وفي أي وقت، وتحت أي حال.

فهل بعد ذلك تشك في قبول الله؟ هل بعد ذلك تشك في غفران ربنا؟ هل بعد ذلك تشك في أن المسيح يقبلك؟

إن هذا اللص أحيا على مدار الأجيال آلاف النفوس التي تابت وورثت ملكوت السماوات بنعمة المسيح بسبب قصته.

فما هو الباب الآخر للرجاء الذي يمكن أن يفتحه المسيح للبشرية أكثر من ذلك؟

لص قضى حياته كلها في الشر، وفي آخر لحظة لما أعلن إيمانه بالسيد المسيح وقدم هذه التوبة القوية، قبله المسيح. وكان رد المسيح عليه "اليوم تكون معي في الفردوس"

استجابة سريعة؛ قال له "اذكرني" كان الرد "اليوم" ولم يكتفِ بذلك، بل قال له "تكون معي أنا"

السيد المسيح داخل إلى الفردوس، وماسك بيد لص اليمين. هذا الذي صار رفيق صليبه، فصار أيضًا رفيق مجده.

على رأي أحد المتأملين كأن المسيح بعدما دخل إلى الفردوس وأغلقت الملائكة الباب، قال لهم لا، اتركوا الباب مفتوحًا، فإن لي صديقًا يأتي ورائي. فقالوا ومن هو؟ قال لص.

أول إنسان دخل الفردوس كان لص اليمين ما معنى هذا؟

معناه أن المسيح يعلن على الصليب قبوله لكل إنسان يتوب. فلا تشك مطلقًا في غفران ربنا "اليوم تكون معي في الفردوس"

والعجيب أن الذي لم يرد على بيلاطس، ولم يرد على هيرودس، رد على اللص. فلما قال له "اذكرني" أجابه المسيح قائلًا "اليوم تكون معي في الفردوس"

لكن لأن المسيح هو المعلم، والمعلم الأعظم، فإنه حتى في لحظة صليبه لم يكف عن التعليم.

اللص قال له "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك"

فصحح له المسيح المعلومة، وكأنه يقول له ملكوتي ستدخله بعد الدينونة العامة، عندما آتي لأدين المسكونة كلها. أما الآن، فستذهب إلى مكان انتظار الأبرار، ستذهب إلى الفردوس.

فهو قال له "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك" ، أما المسيح فقال له "اليوم تكون معي في الفردوس"

ولذلك نصلي من أجل كل إنسان ينتقل "افتح له يا رب باب الفردوس كما فتحته للص اليمين"

وهذه الآية أيضًا ترد على البعض الذين نادوا بتعاليم لا تتفق مع الكتاب المقدس من جهة ما يسمى بالمطهر؛ أي أن الإنسان عندما يموت تدخل روحه النار فترة لتتطهر ثم تدخل السماء.

فأين المطهر بالنسبة للص اليمين؟ هذا الإنسان كان أولى بالتطهير من غيره

لكنه لما قال "اذكرني" أجابه المسيح "اليوم تكون معي في الفردوس"

والتعليم الآخر الذي يقدمه لنا السيد المسيح من خلال هذه الآية، أن البعض صار عندهم اعتقاد أن روح الإنسان عندما تخرج من الجسد تظل تحوم حوله ثلاثة أيام على أمل أن تعود إليه، فإذا فسد الجسد فارقته إلى مقر الأرواح وهذا كان من معتقدات قدماء المصريين.

كما صار عند البعض اعتقاد خاطئ أن الكنيسة عندما تصلي في اليوم الثالث فإنها تصلي لصرف الروح.

لكن لا. فالروح عندما تخرج لا تنتظر ثلاثة أيام حول الجسد.

المسيح قال للص "اليوم تكون معي في الفردوس"

أي منذ هذه اللحظة فالسيد المسيح الذي فتح باب الفردوس للص اليمين، يفتحه لكنيسته كلها في الجمعة العظيمة،

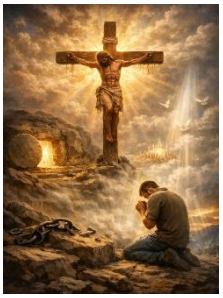

ونحن نردد معه "اذكرنا يا رب متى جئت في ملكوتك، اذكرنا يا سيد، اذكرنا يا قدوس"

له كل مجد وإكرام مع أبيه الصالح والروح القدس، من الآن وكل أوان وإلى الأبد. آمين.